

المذهب المالكي ثابت من الثوابت الدينية المغربية

الدرس
6

أهداف الدرس

1. أن أتعرف مكانة المذهب المالكي في التدين في المغرب.
2. أن أصنف مظاهر تميز المذهب المالكي.
3. أن أقتنع بأهمية المذهب المالكي في تحقيق الوحدة الدينية والوطنية.

تمهيد

حرص المغاربة على الأخذ بالمذهب المالكي باعتباره ثابتاً من الثوابت الدينية لمميزاته، ولما في الأخذ به من الحفاظ على الوحدة الدينية والوطنية. فما أهم مظاهر تميز المذهب المالكي؟ وما آثار ذلك على وحدة المغاربة؟

النصوص الشرعية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة» [رواه الترمذي].

الشرح:

استخلاص المصامين:

- يَضْرِبُ النَّاسَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ: كِنَايَةٌ عَنِ السَّيْرِ السَّرِيعِ.
- 1. أَعْرَفُ بَعَالِمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.
- 2. أَسْتَخْلَصُ مِنَ الْحَدِيثِ مَكَانَةَ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَالْمَذْهَبَ الْمَالِكِيَّ.
- عَالِمُ الْمَدِينَةِ: هُوَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

أولاً: لماذا المذهب المالكي ثابت من الثوابت الدينية المغربية؟

اخْتَارَ الْمَغَارِبَةُ الْمَذْهَبَ الْمَالِكِيَّ ثَابِتًا مِنَ الثَّوَابِتِ الدِّينِيَّةِ لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ مُجْمَلُهَا:

1. الأسباب التي ترجع إلى الإمام مالك نفسه

«اخْتَارَ الْمَغَارِبَةُ مَذْهَبَ الْإِمَامِ مَالِكٍ عَنْ اقْتِنَاعٍ فِكْرِيٍّ، وَاطْمِئْنَانٍ قَلْبِيٍّ، وَرَضَى نَفْسِيٍّ... اخْتَارُوهُ حُبًّا فِي إِمَامٍ دَارِ الْهَجْرَةِ الْعَالِمِ الْفَقِيهِ الْمُجْتَهِدِ الرَّبَّانِيِّ الصَّالِحِ... وَتَبَرُّكًا بِأَخْلَاقِهِ، وَتَيَمُّنًا بِشَمَائِلِهِ، وَاقْتِدَاءً بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ... اخْتَارُوهُ لِمِصَاتِ كَثِيرَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَخُلُقِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ كَانَتْ مُتَجَذَّرَةً رَاسِخَةً فِي شَخْصِيَّةِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَعَلَتْهُ أَهْلًا لِأَنْ يُقْتَدَى بِهِ، وَيُتَأَسَّى بِفِقْهِهِ وَاجْتِهَادِهِ... وَأَمَّهَاتُ الصِّفَاتِ الَّتِي شَدَّتِ الْمَغَارِبَةَ إِلَى صَاحِبِهَا الْإِمَامِ مَالِكٍ وَرَبَطَتْهُمْ بِمَذْهَبِهِ، هِيَ: أَنَّهُ عَالِمُ الْمَدِينَةِ وَفَقِيهٌ وَمَرْجِعُ غَيْرِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ، وَأَنَّهُ أَوْرَعُ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَأَتْقَاهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى، كَمَا انْتَقَلَ عِلْمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعَمَلُهُمْ إِلَيْهِ، وَإِرْثُهُ حَصِيلَتِهَا الْفَقْهِيَّةُ، وَاجْتِمَاعُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ، وَطُولُ إِقْرَائِهِ وَإِفْتَائِهِ، وَكَثْرَةُ إِمْلَاءَاتِهِ وَمُؤَلَّفَاتِهِ، وَاشْتِهَارُ شُيُوخِهِ بِهِ، وَأَخْذُ شُيُوخِهِ عَنْهُ، وَكَثْرَةُ الرُّحَلَى إِلَيْهِ، وَانْتِفَاءُ الْبُدْعَةِ عَنْ أَتْبَاعِهِ». [المغرب مالكي لماذا؟ للعلامة الدكتور محمد الروكي، بتصرف ص: 15 وما بعدها].

2. الأسباب التي ترجع إلى المذهب

المذهب المالكي، نسبة إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، وهو الجامع لفقه وحديث المدينة، ولما كان عليه الخلفاء الراشدون وكبار الصحابة والتابعين، وفقهاء المدينة السبعة المشهورون. «فانتظام المغاربة في سلك المذهب المالكي أزيد من اثني عشر قرناً، مبني على أساس قوي وجيه، هو تميز هذا المذهب من حيث محتواه العلمي، ومضمونه الفقهي، وقيمته التربوية، بصفات جعلته أهلاً لأن يتبع، وأخرى أن يسار على منهاجه، ويسلك على دربه وشرعته. وهذه الصفات كثيرة، نجملها في الكليات والأمهات الآتية: سعة أصوله، وكثرة قواعده، وقيامه على فقه خيار الصحابة والتابعين، وتوسطه واعتداله، وكثرة أتباعه من الأئمة، وكثرة المؤلفات فيه...». [انظر المرجع السابق ص: 37 وما بعدها بتصرف].

ثانياً: من مظاهر حرص المغاربة على التمسك بالمذهب المالكي؛

«كثرة المؤلفات فيه، وطول القضاء به، وطول الإفتاء به، وحظوته بدراسة واسعة عميقة، والإلزام به على مستوى الحكم، واختياره مذهباً للتوحيد بين أطراف إفريقيا» [المرجع السابق بتصرف] عامة والمغاربة خاصة، وعناية ولاية الأمر والملوك بالمذهب المالكي، وحرصهم على وحدة المذهب منذ عهد طويل وإلى اليوم.

ثالثاً: آثار المذهب المالكي في الحفاظ على الوحدة الدينية والوطنية

فالمذهب المالكي «من خصائصه وحدة الناس، وجمع الكلمة ورص الصف، فهو حري بأن يتبع، وجدير بأن يستمسك به ويتخذ نبزاً ومنهجاً لفهم الدين وإقامته في الحياة. ولذلك اختاره المغاربة لما رأوا فيه من خير الوحدة وبركة الألفة، وهم أولى بإدراك ذلك وتقديره حق قدره لما كانوا عليه قبل من الفرقة والشقاق والتمزق والاختلاف». [المرجع السابق]

فَوَحْدَةُ التَّدِينِ: مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُجَنَّبَ الْعَامَّةُ مَخَاطِرَ الْإِخْتِلَافِ ، كَمَا أَنَّهَا تُحَقِّقُ الْوَحْدَةَ الْوَطَنِيَّةَ وَالْمُجْتَمَعِيَّةَ.

التَّقْوِيمُ

1. أَذْكَرُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَةِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
2. أَلْخَصُّ مُمَيِّزَاتِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى الْمَضْمُونِ الْعِلْمِيِّ .

تَوْضِيْفُ الْمَكْتَسَبَاتِ

الْإِمَامُ مَالِكٌ جَمَعَ بَيْنَ الْإِمَامَةِ فِي السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ؛ يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «التَّوَرِيُّ إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ وَلَيْسَ بِإِمَامٍ فِي السُّنَّةِ، وَالْأَوْزَاعِيُّ إِمَامٌ فِي السُّنَّةِ وَلَيْسَ بِإِمَامٍ فِي الْحَدِيثِ، وَمَالِكٌ إِمَامٌ فِيهِمَا مَعًا». [ترتيب المدارك للقاضي: 153/1].

1. أَبْحَثُ عَنِ الْمُرَادِ بِ: السُّنَّةِ، الْحَدِيثِ .
2. أُبْرِزُ أَهَمِّيَّةَ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ انْطِلَاقًا مِنْ كَوْنِ صَاحِبِهِ إِمَامًا فِي السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ .

الْإِعْدَادُ الْقَبْلِيُّ

أَحْضَرُ لِلدَّرْسِ الْمُقْبِلِ بَاسْتِخْرَاجِ مَقَاصِدِ الزَّكَاةِ الْوَارِدَةِ فِي نُصُوصِ الدَّرْسِ .